دور الهويّـة الحضارية للبقيع في التراث المشترك للمسلمين

د. محسن الألويري.[1]

ملخّص البحث :

يحتـاج العـالم الإسـلامي الآن إلى عوامـل بنـاء الهويـة أكثـر من أيّ وقت مضـى في حالتـه الحضاريـة الحاليـة. مثلـما هيـأت مسـيرة الأربـ ين الكـبرى قدرة اسـتثنائية و مذهلـة للهوية الإسـلامية ؛ إنّ الرؤية الجافة للسـعوديين سـببّت تجاهل الاتجاهات العامـة للمسـلمين، و اسـتنادهم عـلى معتقداتهـم فحسـب دفعتهم إلى تمييـز واضح بـين هـذا المبنى و المبـاني الدينية الأخـرى في المدينة المنـو ة و أرض الحجـاز ، وتحويل مركـز الحركـة و العاطفـة هـذا إلى خـراب من حيـث المظهـر أفضل طريقـة لإحياء ذكـرى عظـماء الإسـلام في البقيـع هـي إعـادة إعمارهـا من جديـد ، و توفـير شروط ازدهـار زيارتهـا كأفضـ أهـم مقـبرة عامة لـدى جميع المسـ مين بشـتّى اتجاهاتهم المذهبيـة و العقائديـة المختلفة.

* * *

---

١ . رئيس قسم التاريخ والحضارة ، جامعة باقر العلوم .

سؤال : أولاً ، ما هي مكانة التراث المشترك للمسلمين في البقيع ؟

جـواب : المقابـر هي مكـوّن من مكوّنات البيئة البشـرية ، لاسـيما من منظـار التاريخ الاجتماعـي و التـي تلعـب دورًا مهـمًا للغايـة في تأصيـل هويـة قريـة أو مدينـة أو منطقـة تتجـاوز حـدود دولـة مّا.

لأنّ المقابـر هـي في الواقـع مـكان للتلاقي بـين الماضي و الحـاضر ، و تكـون المقابر من أهـمّ المكوّنات المادّيـة للذاكرة الجماعيـة للأفراد.

الأشـخاص الذيـن دفنـوا عـلى الأقل أحـد أحبّائهـم أو أقاربهـم أو غيرهـم ، في مقبرة يبحثـون عـن جـزء مـن ماضيهـم في تلـك المقـبرة ، وبطبيعـة الحـال ، كلـما ازداد أتبـاع الشـخصيات المدفونـة في تلـك المقابـر ، ازداد تبعا لذلـك تأثير المقبرة والـدور الذي تلعبه في تأصيـل الهوية.

عـلى سـبيل المثال ، مقـبرة وادي السـلام في النجـف ، و مقبرة تخت فـولاد في أصفهان ، و مقـبرة شـيخان في قـم ، هـي تـراث مشـترك بـين جميع الشـيعة بسـبب احتوائهـا عدد مـن أعاظـم الشـيعة و أكابرهـا. المعابد و الأماكـن المقدسـة و المقابر و الأضرحـة و البقاع المقدسـة تتمتّـع بنفس الميـزة و لهـا تأثير يتناسـب مع مدى شـعبيتها.

يبـدو أنّ بعـض المقابـر العامة ، مثل بهشـت زهـرا (جَنَّةُ الزهـراء) في طهـران ، لها دور أقـلّ مـن حيـث تأصيـل الهويـة مـن بعـض المقابـر الصغـيرة ، مثل مقـبرة شـيخان في قم المقدسـة ، عـلى الرغـم مـن سـعتها ، و ذلـك للتنـوع الفكـري و السـياسي و الاجتماعـي للمدفونـين هناك.

البُعـد الآخـر للمقابـر هـو انعـكاس الثقافـة و المعتقـدات و الاتجاهـات الثقافيـة و الاجتماعيـة للنـاس عـلى شـكل تزيـين القبـور و النقـوش عـلى صخـور القبـور و بنـاء المقـبرة، و مـا إلى ذلـك مـن مـوارد أخـرى ، و بعبارة أخـرى ، مثلما تلعـب المقابـر دورًا في منـح الهويّـة ، فـإنّ لديهـا أيضًـا القـدرة عـلى عـرض و إظهـار هويـة الأشـخاص.

و بسبب العلاقة بين الأجواء و الهوية ، و لإحتواء المقابر جزء من التراث المشترك للمسلمين ، أي أربعة من أبرز الشخصيات من عترة النبي صلى الله عليه وآله (وهم من أئمة الشيعة المعصومين عليهم السلام) و وجود بنات و زوجات و أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و التابعين و العلماء و الكبار في مقبرة البقيع ، تجعلها في مكانة عالية لدى مختلف المذاهب الإسلامية.

على الرغم من أنّ هذه المقبرة العامّة الإسلامية لا تعكس حاليًا قيم و معتقدات و فنون و مشاعر المسلمين بسبب هيمنة الرؤية السطحية و المتحجّرة للوهابية ، لا أنّها لا تزال تحتفظ بقدرة عالية جدًا على تأصيل الهويّة و الحضارة.

سؤال : ثانياً ، ما هي الحاجة إلى حفظ وإحياء ذكرى عظماء الإسلام في البقيع؟

جواب : يحتاج العالم الإسلامي الآن إلى عوامل بناء الهوية أكثر من أي وقت مضى في حالته الحضارية الحالية. مثلما هيأت مسيرة الأربعين الكبرى قدرة استثنائية و مذهلة للهوية الإسلامية ، فإنّ البقية أيضاً ستكون لها قدرة عالية جدًا في العالم الإسلامي إذا تمّ أخذها بعين الاعتبار من هذا المنظار و تمّ توفير شروط ازدهار زيارتها.

إنّ الرؤية المتشدّدة للسعوديين سبّبت تجاهل الاتجاهات العامة للمسلمين، و استنادهم على معتقداتهم فحسب دفعتهم إلى تمييز واضح بين هذا المبنى و المباني الدينية الأخرى في المدينة المنو ة و أرض الحجاز ، وتحويل مركز الحركة و العاطفة هذا إلى خراب من حيث المظهر ، بينما إذا وصلوا إلى رشدهم و أعادوا بناء جَنَّةِ البقيع ، فإنّ هذه القدرة الهائلة سيتمّ تحققّها في مؤتمر علمي تحت عنوان «العلوم الإسلامية الأخلاق و الفن في العالم الشيعي: دراسة حول المدينة المنورة» ، و الذي عقد في أكتوبر ٢٠١٨م في كولونيا بألمانيا ، قدمت ثلاث مقالات لعادل زيادة و آدم بوبيك و محمد زهير حسين من دول مختلفة ، بيّنت دورها الملهم في عمارة مقابر البقاع الأخرى ، و دورها الحالي في تأصيل الهوية و كيفية إعمارها من جديد.

فوفقاً لهذه المقالات فإنّ أفضل طريقة لإحياء ذكرى عظماء الإسلام في البقيع هي إعادة إعمارها منة جديد، و توفير شروط ازدهار زيارتها كأفضل و أهم مقبرة عامة لدى جميع المسلمين بشتّى اتجاهاتهم المذهبية و العقائدية المختلفة.

سؤال: ثالثاً، ما هي أضرار التطرّف الديني على الأضرحة المقدسة و التراث الإسلامي؟

جواب: قبل الإجابة على هذا السؤال، يجب التأكيد على أنّ إعمار البقيع من جديد يجب أن يصبح مطلبًا عامًا في العالم الإسلامي، و يجب تكرار هذا الطلب و اتباع المساعي العامّة و القانونية و السياسية. ليضطر الحكّام السعوديون في النهاية إلى قبوله. أو إن شاء الله عند رحيلهم، ستأخذ المسألة مجراها بشكل آخر.

و مع ذلك، يجب أخذ جانب الحذر أن لا يتجاوز هذا المطلب والسعي مصالح الأمّة الإسلامية، و لا يأخذ لون و رائحة الطائفية، الانتماء الديني.

إنّ الاعتقاد الذي نؤمن به نحن الشيعة بعصمة الأئمة عليهم السلام و استمرار رسالة الرسول صلى الله عليه وآله في إمامتهم لا يجب أن ينسينا النقطة المهمة في أنّ أهل البيت عليهم السلام محبوبّون و محبوبون من قِبَل جميع المسلمين. إنّ السلوك القاسي لبعض المدعين في الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام يجعل من الصعب إظهار عظمة و جمال مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إنّ التطرّف الديني من جانب أيّ شخص يؤدي إلى إضعاف أو حتى تعطيل التماسك الاجتماعي في المجال الاجتماعي، و لا أعتقد أنه من غير المحتمل أن يشكك أي شخص في هذه الممارسة بناءً على التعاليم الإسلامية. و قد أظهرت التجربة التاريخية بعد انتصار الثورة أنّ بعض هؤلاء المطالبين بالدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام يضربون باستمرار طبول الخلاف مما يجعل عملية التماسك على مستوى الأمة الإسلامية صعبة للغاية. و لكن بمجرد انتهاء المحادثات و المعاملات الجيدة و الظروف المناسبة لتبيين

مدرسة أهل البيت عليهم السلام و الدفاع عنها في كلّ زاوية من زوايا العالم ، يقوم أولئك و باسـ علاء إلى استثمار الظروف أكثر من الذين هيّؤها و يستمرون مع الأسف في اختلاق الاعذار.

و نأمل أن نشهد في أقرب وقت ممكن إعادة إعمار البقيع ، و التحرّك المكثّف لقوافل الحجّ إلى هذه المقبرة العامّة التي تحظى باهتمام و تقدير المسلمين.

***